﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ أي ومن شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن غيره، ولا يرضى بما قسمه الله تعالى له.

البَلاَغَة: تضمنت السورة الكريمة وجوهًا من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١ - الجناس الناقص بين ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ و ﴿خَلَقَ﴾.

٢ - الإطناب بتكرار الاسم ﴿شَرِّ﴾ مراتٍ في السورة ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ ﴾ ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ إلخ تنبيهًا على شناعة هذه الأوصاف.

٣ - ذكر الخاص بعد العام للاعتناء بالمذكور ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ فإنه عموم يدخل تحته شر الغاسق، وشر النفاثات، وشر الحاسد.

٤ - جناس الاشتقاق بين ﴿حَاسِدٍ﴾ و ﴿حَسَدَ﴾.

٥ - توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات.

«تم بعونه تعالى تفسير سورة الفلق»

❁ ❁ ❁ ❁

= الحوادث معه لبيان جواز حدوثها مع غيره ﷺ مهما بلغ قدرًا عاليًا في العبادة، وهو أمر جائز عقلًا ونقلًا. فهو كحديث نسيان النبي ﷺ في الصلاة، وهو الذي ينزل عليه الوحي، وهو أخشع الخلق في الصلاة ﷺ وذلك لتعليم الأمة الإسلامية من خلال هذا الحدث.

سُورَةُ النَّاسِ ١١٤ ٦

مكية و آياتها ست

بين يدي السورة

* سورة الناس مكية، وهي ثاني المعوذتين، وفيها الاستجارة والاحتماء برب الأرباب من شر أعدى الأعداء، إبليس وأعوانه من شيطان الإنس والجن، الذين يغوون الناس بأنواع الوسوسة والإغواء.

* وقد ختم الكتاب العزيز بالمعوذتين وبدئ بالفاتحة، ليجمع بين حسن البدء، وحسن الختم، وذلك غاية الحسن والجمال، لأن العبد يستعين بالله ويلتجئ إليه، من بداية الأمر إلى نهايته.

قال الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾

اللغة: ﴿الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان الموسوس، مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي وحديث النفس قال الأعشى:

تَسْمَعُ لِلْحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ [1]...

﴿الْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتوارى ويختفي ويتأخر يقال: خنَس الظبْيُ إذا اختفَى، وسُمي الشيطان خناسًا لأنه يتوارى ويختفِي إذا ذكَر العبد ربَّه، فإذا غفل عن ذكر الله عاد فوسوس له، والخنوس: التأخر ﴿الْجِنَّةِ﴾ بكسر الجيم الجنُّ جمع جنِّيّ، وبضم الجيم الوقاية وفي الحديث «الصَّوْمُ جُنَّةٌ»[2] أي وقاية من عذاب الله.

التفسير: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾ أي قل يا محمد أعتصم وألتجئ وأستجير ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أي بخالق الناس ومربيهم ومدبر شئونهم، الذي أحياهم وأوْجدهم من العدم، وأنعم عليهم بأنواع النعم قال المفسرون: إنما خصَّ الناس بالذكر وإن كان -جلت عظمته- رب جميع الخلائق تشريفًا وتكريمًا لهم، من حيث إنه تعالى سخَّر لهم ما في الكون، وأمدهم بالعقل والعلم، وأسجد لهم ملائكةَ قُدْسِه، فهم أفضل المخلوقات على الإطلاق ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ أي مالك جميع الخلق حاكمين ومحكومين، ملكًا تامًّا شاملًا كاملًا، يحكمهم، ويضبط أعمالهم، ويدبّر

(١) «تفسير القرطبي» ٢٠/ ٢٦١.

(٢) جزء من حديث رواه الشيخان.

شئونهم، فيعز ويذل، ويغني ويُفقر ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي معبودهم الذي لا ربَّ لهم سواه قال القرطبي: وإنما قال ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ لأن في الناس ملوكًا فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره فذكر إنه إلههم ومعبودهم، وأنه الذي يجب أن يستعاذ به ويُلجأ إليه، دون الملوك والعظماء، وترتيب السورة بهذا الشكل في منتهى الإبداع، وذلك لأن الإنسان أولًا يعرف أن له ربًّا، لما يشاهده من أنواع التربية ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرفٌ في خلقه، غنيٌّ عن خلقه فهو الملك لهم ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يُعبد، لأنه لا عبادة إلا للغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ وإنما كرر لفظ الناس ثلاثًا ولم يكتف بالضمير، لإظهار شرفهم وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم، كما حسن التكرار في قوله الشاعر:

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ نَغَّصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا [(١)]

قال ابن كثير: هذه ثلاث صفات من صفات الرب عَزَّ وَجَلَّ «الربوبية» و «الملك» و «الإلهية» فهو ربُّ كل شيء ومليكه وإلهه، وجميع الأشياء مخلوقة ومملوكة له، فأُمر المستعيذُ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ﴾ أي من شر الشيطان الذي يلقي حديث السوء في النفس، ويوسوس للإنسان ليغريه بالعصيان ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي يخنس أن يختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه، فإذا غفل عن الله عاد فوسوس له وفي الحديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ - أَنْفَه - عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِنْ ذَكَرَ خَنَس، وَإِنْ نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ، فَذَلِكَ الْوَسْوَاسُ الْخَنَّاسُ»[(٢)] ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴾ أي الذي يلقي لشدة خبثه في قلوب البشر صنوف الوساوس والأوهام قال القرطبي: ووسوستُه هو الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ ﴿مِنَ﴾ بَيانِيَّة أي هذا الذي يوسوس في صدور الناس، هو من شياطين الجن والإنس كقوله تعالى ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] فالآية استعاذة من شر الإنس والجن جميعًا، ولا شك أن شياطين الإنس، أشدُّ فتكًا وخطرًا من شياطين الجن، فإن شيطان الجن يخنس بالاستعاذة، وشيطان الإنس يُزَيِّن له الفواحش ويُغْرِيه بالمنكرات، ولا يَثْنيه عن عزْمه شيء، والمعصوم من عصَمَه الله[(٣)].

البَلاَغَة: تضمنت السورة الكريمة وجوهًا من البديع والبيان نوجزها فيما يلي:

١ - الإضافة للتشريف والتكريم ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ وفي الآيتين بعدها.

---

(١) (ش): نغَّص أخاه: كدَّره. نغَّص عليه الأمرَ: قطع عليه ما كان يحبُّ الاستكثارَ منه.

(٢) رواه الحافظ الموصلي. (ش): رواه الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ في «مُسنَده» بإسناد ضعيف.

(٣) (ش): أغراه بالشَّيء/ أغراه على الشَّيء: حضَّه عليه. ثنَاه عن الأمر: صَرفَه عنه، رَدَّه وأبعده. عصَمه اللهُ عن المكروه/ عصَمه اللهُ من المكروه: مَنَعَه، حَفِظه ووَقَاه.

٢ - الإطناب بتكرار الاسم ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ زيادة في التعظيم لهم، والاعتناء بشأنهم، ولو قال (ملكهم، إلههم) لما كان لهم هذا الشأن العظيم.

٣ - الطباق بين ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ و ﴿وَٱلنَّاسِ﴾.

٤ - جناس الاشتقاق ﴿يُوَسْوِسُ.. ٱلْوَسْوَاسِ﴾ ثم ما في السورة من الجرس الموسيقي، الذي يفضل الألحان بعذوبة البيان، وذلك من خصائص القرآن.

تنبيه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ».[1]

يقول راجي عفو ربه الجليل، الشيخ محمد علي الصابوني ابن الشيخ جميل: إنه قد تم بعون الله وتوفيقه - تفسير القرآن العظيم، في مهبط الوحي -مكة المكرمة- البلد الأمين، وقد مكثت في تأليف هذا التفسير خمس سنين، وكان الفراغ منه في الثامن عشر من شهر جمادى الثانية ١٣٩٨هـ سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة بعد الألف من هجرة سيد المرسلين، ونسأل الله حسن القبول، وأن يمنحنا التوفيق والسداد والحمد لله في البدء والختام، وصلى الله على عبده ورسوله، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

وكتبه
محمد علي الصابوني
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مكة المكرمة - جامعة الملك عبدالعزيز

تم بحمد الله المجلد الثالث

❁ ❁ ❁ ❁

(١) رواه أهل السُنن. (ش): رواه البخاري.